المثقفون في عالم جامح

بقلم محيي الدين صبحي

[قال (*) في نفسه :« انني اغتاظ هذه الايام اكثر مما ينبغي . كل شيء يغيظني : ثمة شيء لا يسير على ما يرام » وافرغ كأس الخمر. لا عجب انه يمضي ايامه في فعل أشياء لا يحب ان يفعلها ، ويعيش من الصباح الى المساء رغما عنه . « وكيف وصلت الى هنا ؟» للوهلة الاولى لم يكن ما اقترحه على نفسه غداة التحرير يبدو طموحا اكثر مما ينبغي : ان يستعيد حياة ما قبل الحرب ، وان يغنيها ببعض النشاطات الجديدة . كان يظن انه سيستطيع ان يدير « الامل » وان يعمل في « الاشتراكي الثوري الحر » دون ان يكف عن الكتابة ولا عن ان يكون سعيدا . لكنه لم يستطع . لماذا ؟ لم تكن المسألة مسألة وقت. ولو اراد حقا لتدبر امره بعد ظهر هذا اليوم ليتسكع في الشوارع . والان بالضبط ، لديه الوقت ليعمل ، ويستطيع ان يطلب ورقا من الخادم ، ولكن هذه الفكرة كانت تقرفه . كان الروس ينهبون برلين ، وكانت الحرب تنتهي او اخرى تبدأ : كيف يمكنه ان يتلهى بكتابة قصص لم تحدث ابدا ؟ وهز كتفيه : هذا ايضا نوع من الاعذار التي يتذرع بها عندما لا يسير العمل . كانت الحرب تهدد ، ثم اندلعت الحرب ، وكان لا يزال يتلهى برواية قصص : لم ليس الان ؟ وخرج من المقهى . كان يتذكر ليلة اخرى ، ليلة ضباب ، تنبأ فيها لنفسه ان السياسة ستأكله : لقد تم الامر واكلته . لكن لماذا لم يدافع عن نفسه بشكل افضل ؟ من اين ينبع هذا الجفاف الداخلي الذي يشله ؟ (١)]

هذا هو هنري بيرون احد ابطال رواية (المثقفون) . كاتب شاب ، ومناضل في فرق المقاومة ابان الاحتلال الالماني ، ومؤسس جريدة «الامل» التي كانت تصدر بشكل سري ، ايام الاحتلال ، وصديق روبير دوبري وزوجته آن . اما روبير دوبري فهو مفكر كبير ومناضل مقاوم وروائي ذو مجد عريض . فاذا ذكرنا بول عشيقة هنري ونادين ابنة دوبري وعشيقها لامبير نكون قد استعرضنا الاشخاص الاساسيين الذين يملأون الرواية بأعمالهم . وهم ـ عدا صداقاتهم ـ يربطهم امل واحد هو ان يسترجعوا حياة ما قبل الحرب ، بصفائها وثباتها ، وهدوئها ومشروعاتها. لكنهم جميعهم يشعرون باستحالة هذا المطلب ، كما انهم ينزلقون في مآزق لم تكن تدخل في مخططاتهم ، وشيئا فشيئا تتغير حياتهم بشكل ينكرونه على انفسهم ، لكنهم لا يملكون لهذا التغيير دفعا . والمقطع السابق يعرض علينا اكتشاف هنري بيرون لتسرب حياته ودمار امانيه دون ان يستطيع تعليل هذا الموقف ولا معرفة اسبابه . انه يريد ان يستأنف حياة ما الخاصة كما يلائم مشاربه ويحقق سعادته . فهو يملك جريدة « الامل » ويريد ان يحافظ على اصدارها بانتظام . كما ان دوبروي اسس حركة (الاشتراكي الثوري الحر) وهي حركة يسارية تحاول ان توفق بين الماركسية والمذهب الانساني. وقد انتسب هنري الى هذه الحركة ، بل كان احد مؤسسيها لكن دوبروي يصر على ان تكون جريدة « الامل » ناطقة بلسان الحركة ، بينما يعارض هنري ذلك لان التزام الجريدة بالحركة يعطيها طابعا حزبيا فيقل قراؤها ويكثر اعداؤها وبالتالي ينخفض دخلها وقد تتوقف عن الصدور . ويرى هنري ان تسير الجريدة بخط يساري عام وبذلك تتوسع قاعدة قرائها فتخدم بشكل غير مباشر حركة الاشتراكي الثوري دون ان تلتزم بها .

وكان يقول : « ان الاصلاحات ستتم عندما يطلبها الرأي العام . وانا احاول ان احث الرأي العام . »

وكان لهنري مأرب اخر في عدم ربط الجريدة بالحركة ، هذا المأرب هو انه لا يريد ان يتورط في السياسة كليا . انه يريد ان يعيش حياته ككاتب « انني اتمرد لانني اخشى ان تلتهمني السياسة ، لانني اخاف من المسؤوليات الجديدة ، لانني اتمنى اوقات فراغ ، وعلى الاخص لكي ابقى السيد في بيتي . اسباب تافهة جدا .. » ٢٥٠ وتبدو تفاهة هذه الاسباب واضحة عندما نقارنها بوضع العالم بعد الحرب : لقد ولدت الكرة الارضية ولادة جديدة ، وعلى الانسان ان يقرر مصيرها من جديد : ان يسمح باعادة المظالم القديمة المتمثلة في النظام الرأسمالي الذي تشرف عليه امريكا ، او ان يساعد الشيوعية على التهامها ، ومع ان النظام الشيوعي اشرف من النظام الرأسمالي لانه يكفل الخبز والعمل للجميع ، فان لاشراف المثقفين بعض التحفظات حياله . فكان هنري يأخذ على الشيوعيين « الخلط المتعمد بين المقاومة والحزب ، شو فينيتهم ، ديماغوجية دعايتهم الانتخابية ، تسامحهم العديم الحياء وقسوتهم التعسفية تجاه الذين تعاونوا مع الالمان . » ولذلك انتسب لحركة الاشتراكي الثوري الحر . اما دوبري فقد انشأ الحركة على امل ان يوجد خارج الشيوعيين يسارا وهو من النضج والنمو بحيث يصعب عليه ان يخضع لشعارات لا ينسجم معها . وفضلا عن ذلك فانه اذا انضم الى الشيوعيين سوف يضطر الى انكار ماضيه ، وسيتخلى عن الكتابة حسبما يعتقد ، رغم انه يطمح الى تخليد اسمه . لكن الكتابة حاجته وفرحه وذاته ، وتخليه عنها انتحار له . واذا انضم الى الشيوعيين سيتخلى عن كل الافكار الخاصة به وسوف يكتب حسب الطلب ، واذا لم يعد يستطيع أن يعبر عن نفسه كما يشاء ، فسوف تسقط الريشة من يده !! تقول آن زوجة دوبروي ص ٨٠ « ان روبير متمسك تمسكا شديدا ببعض الافكار ، ولقد كنا واثقين قبل الحرب أنها ستتجسد ذات يوم في الواقع . لقد جند نفسه طوال حياته لاغنائها ولتهيئة تجسدها في آن واحد : ولكن لنفرض ان هذا التجسد لن يحدث أبدا . لنفرض أن الثورة العمالية ستتم ضد المذهب الانساني الذي دافع عنه روبير دوما : ما الذي يستطيع روبير أن يفعله ؟ اذا ساعد على بناء مستقبل معاد لكل القيم التي يؤمن بها ، فان عمله عبث . ولكنه اذا أصر على التمسك بقيم لن تهبط الى الارض أبدا ، فسيصبح واحدا من أولئك الحالمين الشيوخ الذين يحرص على ألا يشبههم » .

وهكذا تتحدد صفحة المعركة : العالم قد ولد من جديد ، وكل انسان مدعو للمشاركة في بنائه بالشكل الذي يرضي ضميره ، وهذه المعركة هي معنى حياة هؤلاء المثقفين . وفي مثل هذه المعركة يستحيل على المثقف الواعي أن يقف على الحياد أو أن يعقد صلحا أو هدنة مع أحد الطرفين . وما دام مستقبل العالم يمكن أن يتأثر بحركة «الاشتراكي الثوري الحر » ، وما دامت هذه الحركة لا تنمو الا اذا نطقت باسمها جريدة يومية ، وما دام هنري يملك الايمان بالحركة ولديه جريدة فليس هناك منطق يدعوه الى عدم تقديم الجريدة للحركة الا أنانية سخيفة لا مكان لها في هذا المعترك الضخم . واذا كان يخاف على حياته الفردية

(*) هذه الدراسة نقد لرواية « المثقفون » . تأليف : سيمون دوبوفوار ترجمة : جورج طرابيشي ، نشر : دار الاداب

(١) ص ٢٨٢ من الرواية

أن تنجرف في السياسة وأن يفقد سعادته لفترة ، فان هذا يعني أنه يخون مثله لانه سيحاول أن يكون سعيدا قبل أن يكون العالم كله سعيدا ، وقد أثبت هنري لنفسه وللاخرين أنه ليس بذلك الرجل . ففي أيام احتلال الالمان لباريس عرض حياته للخطر دون خوف ودنما أسف على السعادة المفقودة . وهو يرى العالم الان ما يزال في حالة حرب ... انه لم يصل الى السلام المنشود ، ولذلك فيجب عليه أن يتابع العمل ، اما اذا تجرأ وعقد صلحا منفردا فانه لن يختلف بشيء عن بطل « وداعا أيها السلاح » ان الشقاء يحاصره في كل مكان ، وينتصب ازاءه أنى اتجه . ولقد حاول بالفعل أن يمنح نفسه عطلة يستجم فيها ، فذهب الى البرتغال بعيد انتهاء الحرب ، بل ذهب تاركا عشيقته بول التي أقامت معه اكثر من عشر سنوات ، وأخذ بدلا عنها نادين ذات الجسد النحيل والنهدين الصغيرين والعمر الذي لا يبلغ العشرين .. نادين ابنة دوبروي استاذه وصديقه. ولقد كانت هذه الرحلة محاولة أولى ـ وربما أخيرة ـ ليحاول أن يستمتع بالعالم والحياة . ففي البرتغال طبيعة جميلة وخيرات كثيرة ونادين معه بجسدها البض وعهرها الغامض . الا أنه لم يتمتع بشيء مما حوله : « من المستحيل الهرب : هكذا امضي هنري صباح اليوم التالي في زيارة الاكواخ . وقد دعا الوزير السابق أصدقاءه عن قصد ليروا له : من المستحيل الرفض . كانوا جميعا يرتدون بزات قاتمة ... ويتكلمون في وقار ، ولكن بين الحين والاخر كان الحقد يغير وجوههم العاقلة . كانوا وزراء سابقين ، وصحفيين سابقين ومعلمين سابقين ، خربهم رفضهم التحالف مع النظام . وكان لهم جميعا أقرباء وأصدقاء منفيون ، وكانوا فقراء ويائسين ... بل اذا أراد طبيب أن يعالج اليائسين مجانا ، أو اذا حاول أن يفتح مستوصفا أو يدخل بعض النظافة في المستشفيات ، فانه سريعا ما يصبح مشبوها . ومن ينظم دروسا ليلية، ومن يقوم بحركة كريمة أو مجرد احسان فهو عدو للكنيسة والدولة » ص ١٥٠ وهكذا وجد نفسه أمام البؤس وأعطى عهدا بمقاومته، الا أنه مع ذلك ما يزال يحلم في أن يفرغ لنفسه في ظل أخضر وأن يكون كاتبا روائيا في حين أن دوبروي قد أعطى نفسه كليا لقضيته ولذلك يطلب من الاخرين أن يتنازلوا عن كل شيء كما فعل هو . وهذا هو السبب في أن فردية هنري تفرض ظلها على الرواية ، بينما لا يظهر دوبروي الا حين تقرير المواقف الحاسمة . ان دوبروي بلا ظل ولا ملامح ولا رغبات . أنه عقل محض وكتلة من نشاط دائب . انه يفرض على نفسه وعلى الاخرين ما يمليه حكم العقل والواجب . انه اله يضع للناس أقدارهم ويفرض عليهم التضحيات اللازمة لخلق العالم من جديد حسب تصوره واجتهاده في أن يكون عالما أفضل . أما هنري فان مشاعره وعواطفه ما زالت تحد من ارادته وتدفعه الى تصرفات لا يقرها عقله المدرك لحقيقة الوضع في العالم . انه يرغب ويعلم حق العلم أن رغباته ليست مشروعة بالنسبة لوعيه . وهذا ما يجعله ـ حين ذهب الى البرتغال .. يفقد متعته بالطبيعة وبالمرأة ويقف شاهدا على اليؤس الانساني . وحتى الكتابة ، بما هي عملية خلق وتحقيق للذات ، تخمد روعتها في نفسه بعد تلك الرحلة « لقد وعد نفسه بأن يقول للناس أشياء تستطيع أن تنيرهم ، أن تساعدهم على التفكير ، أشياء حقيقية ..» وفي سبيل ذلك كاد أن يتخلى عن كتابة الرواية : « كان من الافضل بدل أن أحلم أمام هذه الورقة أن أدرس ماركس جديا » . ولكن ليس هناك وقت حتى لهذا العمل الجدي ، فالعالم لا ينتظر ، والجريدة تحتاج الى من يديرها ويكتب فيها ويدافع عنها، فالكثيرون يغفرون أفواههم ويطمحون الى ابتلاعها . صحيح أن دوبروي يريدها أن تنطق بلسان الاشتراكي الثوري الا أنه ليس الوحيد في ذلك ، فقد كان هنري يشتكي من قلة الورق لصديق له فأتاه هذا بأحد موظفي وزارة الخارجية الامريكية . وقد عرض عليه الامريكي أن يقدم له ما شاء من الورق قائلا : « لقد تتبعت باهتمام كبير ريبورتاجك عن البرتغال ، لكني فوجئت عندما قرأت أنك تنوي بخصوص نظام سالازار ، أن تنتقد السياسة الامريكية في البحر المتوسط ... » لكن هنري يرفض أن « يبيع الامل مقابل بضعة كيلووات من الورق » وتنتهي المقابلة باصرار هنري على أن يقول الحقيقة معرضا بذلك الجريدة للافلاس اذا لم يخضع لطلبات الخارجية الامريكية، وفي الطرف الثاني وقف الشيوعيون يستغلون ريبورتاجات هنري عن وضع البرتغال ليهاجموا النظام الرأسمالي وأمريكا بالذات مع ترويج الاشاعات عن أن « الامل » جريدة شيوعية وكان عليه أن يكذب ذلك ولم يكن هنري يريد أن يخسر جمهور المثقفين الذين يحبون (الامل) لتجردها . كما أنه لا يريد أن يغضب قراءه الشيوعيين . لكنه ، بمداراته جميع الناس ، يحكم على نفسه بالامعنى ، وبذلك يساهم في تخدير الناس) ص ٣٠ ، والريبورتاج الذي نشره عن البرتغال وأثار تلك الضجة كان الهدف منه أن يفضح وضع البرتغال ، فلقد أوضح أن التقدميين « يحلمون بقلب سالازار وبانشاء جبهة وطنية شبيهة بالتي تأسست في فرنسا . وكانوا يعرفون أنهم وحيدون : فالرأسماليون الانكليز لهم مصالح ضخمة في البرتغال والامريكان يتفاوضون مع الحكومة لشراء قواعد جوية في جزر « أسور » . وكانوا يرددون : فرنسا أملنا الوحيد . ويتضرعون لهنري : « قل للفرنسيين الحقيقة فهم لا يعرفون . ولو كانوا يعرفون لجاؤوا لمساعدتنا » ص ١٥٠ وها هو قد جعل جميع الفرنسيين على علم بحقيقة البرتغال ، ولم يكتف بذلك بل رفع تقريرا لوزارة الخارجية الفرنسية يخبرها فيه أن الثوار سيتنازلون عن بعض مستعمرات البرتغال في أفريقيا مقابل مساعدة فرنسا لهم على الاطاحة بسالازار . وكان سكرتير الوزارة رفيقا لهنري في المقاومة ، ولذلك كان هنري يثق بحسن نيته في مثل هذا الموقف ، لكن رده كان حاسما . قال لهنري :

« كيف تريد أن تفعل فرنسا شيئا ما للبرتغال أو لاي كان ، في الوقت الذي لا تستطيع شيئا لنفسها ! ... أانت من أولئك الناس الذين يشعرون بالفخر لان فرنسا دعيت الى مؤتمر سان فرنسيسكو ؟ ماذا تتصور ؟ الحقيقة أنه لم يعد لنا حساب » .

وخرج هنري من مكان المقابلة « واجتاز بخطى سريعة الممرات وعبر الباحة . كان قلبه منقبضا : كان يرى ثانية السياسيين البرتغاليين

في المكتبات

مع الإمام علي

من خلال «نهج البلاغة»

دراسة مستفيضة عن عبقرية الامام علي كسياسي وحكيم من خلال خطبه ورسائله التي يتضمنها كتابه الخالد « نهج البلاغة »

تأليف

خليل الهنداوي

منشورات
دار الاداب

بقباتهم القاسية وقبعاتهم وذلك الغضب المعقول في أعينهم . كانوا يقولون : « فرنسا أملنا الوحيد » ولم يكن هناك أي أمل في أي مكان ، لا في فرنسا ولا في مكان آخر . واجتاز المدخل واستند الى حاجز الرصيف : كانت فرنسا لا تزال تحتفظ من البرتغال ببريق النجوم الميتة العنيد ، ولقد ترك هنري نفسه يقع في الفخ . وفجأة كان يكتشف أنه يسكن العاصمة المتحضرة لبلد صغير جدا .

« كان السيف يجري في مجراه ، والمادلين ومجلس النواب في مكانهما ، والمسلة أيضا . ويمكن الاعتقاد بأن الحرب قد وقعت باريس بأعجوبة ... لقد قبلوا جميعا في رضى بأن يخدعوا بهذه المنازل ، بهذه الاشجار ، بهذه المقاعد التي تقلد الماضي بدقة كبيرة . ولكنها ، في الحقيقة ، قد أبيدت ، تلك المدينة المتكبرة المتعصبة فوق قلب العالم ، ولم يعد هنري الا المواطن المنسي لدولة من الدرجة الخامسة . و«الامل» صحيفة محلية ... وارتقى درج الجريدة في خطى كئيبة . « فرنسا لا تستطيع شيئا » .. أن يزود بالمعلومات أناسا لا يستطيعون شيئا ، وأن يثير سخطهم ، ويبعث حماستهم ، ما الفائدة من كل هذا ؟.. سيقرأه الناس (الريبورتاج) ، وسيهزون رؤوسهم ، وسيرمون الجريدة في سلة الورق ، وانتهى الامر ! ما أهمية أن تبقى « الامل » أو ألا تبقى مستقلة ؟ وفكر هنري فجأة : « لا داعي لتحمل مشقة العناد ! » كان دوبروي وسامازيل يعتقدان أنهما يستطيعان استخدام الجريدة ، وكانا يعتقدان أيضا أنه سيكون لفرنسا دور تلعبه اذا لم تكن معزولة : الآمال كلها كانت الى جانبهما . أما من الامام ، فلا شيء الا الفراغ . وقال هنري في نفسه : « اذن ، لماذا لا أتلفن بأنني أقبل ؟ » ص ٢٧٢ .

وهكذا يقرر أن يتنازل عن استقلال الجريدة ، وأن يجعلها تنطق باسم حركة الاشتراكي الثوري. لقد قرر ذلك بعد أن اكتشف تفاهة هذه الادوات وعدم تأثيرها . ان فرنسا لا قيمة لها في المجال الدولي وان القوتين المتصارعتين لن يتأثرا بفرنسا ، وبالتالي فان التأثير في الشعب الافرنسي لن يجدي الانسانية في شيء . ان هنري قد بدأ يدرك أنه في عصر الجماعات الضخمة ، وأن الاصوات الانسانية مهما كانت مخلصة فلن تؤثر ـ كما كانت تفعل من قبل ـ في مجرى الاحداث التي تسيرها قوى هائلة جديدة في العالم . ان الجريدة رمز لمقاومة الطغيان . وان تخلي هنري عن الجريدة يرمز الى تنازله عن فرديته وعن كل ما هو خاص به . لقد تنازل عن كل ذلك لحركة الاشتراكي الثوري . لكن هذا التنازل لم يكن يهدف الى استئناف الصراع وانما الى التخلي عنه. وقد استخدمت الكاتبة هذا الرمز بمهارة جعلت منه محور الجزء الاول بأكمله . وكان استخدامها له على صعيدين : على الصعيد الفردي ، حين جعلت هنري يحاكم الحياة من خلال تشبثه في أن تبقى الجريدة مستقلة كي لا ينغمس في السياسة لانه يريد أن يستبقي لنفسه وقتا يكتب فيه رواياته ويستمتع بحياته . وعلى الصعيد الجماعي حين يتنازل عن الجريدة للحركة . وبما أن ارتباط جريدة « الامل » بحركة « الاشتراكي الثوري الحر » سوف يجعل القراء اليمينيين يقاطعونها لانها أصبحت يسارية ملتزمة ، وسوف يجعل القراء الشيوعيين يقاطعونها لانها اتخذت موقفا خارج الحزب الشيوعي ، فان ميزانية الجريدة سوف تتدهور ، ولذلك يقبل هنري بدخول شريك رأسمالي منتسب لحركة الاشتراكي الثوري يدعي تراريو . وفي هذه الاثناء يقرر دوبروي أن يقيم مهرجانا لحركة الاشتراكي الثوري . وقد عارض الشيوعيون هذه الفكرة . وقد شرح لاشوم (وهو شيوعي عمل في المقاومة) لهنري وجهة نظر الحزب :

ـ « ان حركة كالاشتراكي الثوري الحر مبهمة جدا . فمن جهة تجتذب أناسا الى اليسار ، هذه حقيقة . ولكن في اللحظة التي تلحق بنفسها صحيفة ، وتنظم مهرجانا ، فهذا يعني أنها تزمع أن تقلل من شأن الحزب الشيوعي. في البداية ، كان الحزب الشيوعي يتمنى تحالفا، لكن عندما يعلنون أنفسهم ضدنا ، فنحن مرغمون على أن نكون ضدهم » .

وأجاب هنري :

ـ « تقصد أنه لو كان « الاشتراكي الثوري الحر » فئة صغيرة منسية صامتة ، تعمل بوداعة في ظلكم ، لكنتم سمحتم به بل لا يعود ورقة صالحة للعب... صحيح أنكم لا تتحملون وجود يسار خارج عنكم ؟ .. »

ويتم المهرجان ويتحدث فيه هنري شارحا أن البشر ليسوا محكوما وشجعنموه . ولكنه اذا أخذ يكون وجوده الخاص ، فان الاتحاد المقدس عليهم بالحقد والحرب ، بينما أكد دوبروي أن البشر فهموا أن الاستسلام والانانية يكلفان ، وسوف يحققون انتصار السلام ويوطدون على الارض السعادة والحرية . واذا لم يجهر الشيوعيون بالعداء فانهم تحفظوا تجاه الحركة والجريدة ، ولما اقترب موعد الانتخابات هاجم الشيوعيون الحركة وانقسم اليسار بصورة علنية رغم أن دوبروي كان يصر على شعار وحدة العمل ويرى أن الشيوعيين سوف يهاجمون الحركة ما دامت ضعيفة ، أما اذا قويت فسوف يرضخون للامر الواقع ويسالمونها ويتكاتفون معها . هذا بالاضافة الى أن هنري وروبير لم يسمحا لانفسهما قط أن يهاجما روسيا ولا الحزب رغم أن الحزب كان يهاجمهما ويهاجم الحركة . وبالنسبة لهنري (« كان ما يأخذه على الحزب أكثر من أي شيء آخر ، هو معاملته للناس كأشياء . واذا لم نكن نثق بالناس ، بحريتهم ، بأحكامهم بارادتهم الطيبة ، فلا داعي لتحمل مشقة الاهتمام بهم .

« لكن هذا كان ملامة لا معنى لها الا في فرنسا ، في أوروبا ، حيث بلغ الناس مستوى معينا من الحياة ، حدا أدنى من الاستقلال الذاتي والتبصر . أما عندما تصبح المسألة مسألة جماهير بلدها البؤس والخرافات ، فما معنى معاملتهم كبشر ؟ يجب أن يقدم لهم ما يأكلونه ، هذا كل شيء ...

« وقطف هنري سنبلة ومضغها في بطء . ما دام الانسان لا يستطيع على كل حال أن يعيش كما يريد ، فلماذا لا يتخلى تماما . ويضيع في قلب حزب كبير موحدا ارادته بارادة جماعية ؟

« وقطف هنري سنبلة أخرى وقال في نفسه : كي تكون مناضلا طيبا فلا بد أن يكون لك ايمان السذج . وأنا لا أملكه .

« كان دوبروي قد كف عن التساؤل : كان يكتب .. » ص ٤٠٣

وعلى ذلك فقد كان تساهلهما تجاه الحزب الشيوعي وقفا على مستوى الفرد . فحين يكون الفرد شبعان يكون له الحق في الحفاظ على فرديته وعلى حرية الحكم والتقرير والمناقشة ، أما في البلدان المتخلفة فان هذه الحقوق ترف لا مبرر له . وبما أن فرنسا بلد أوروبي قد توصل الى درجة الشبع فيجب أن يكافح مثقفوه في سبيل أن يحتفظوا لمواطنيهم بحقوق الفردية والحرية . ولكن هنري يتنازل عن تحفظاته هذه حين يفكر على المستوى العالمي : ان الناس بحاجة الى ما يأكلونه. وهذان المستويان من التفكير يسببان البلبلة في فكر هنري ويؤخران قراراته ويرميانه في هوة المناقشة العقيمة رغم صدقها . ان هذا الاضطراب الروحي يقربه تمام القرب من أبطال دوستويفسكي . ومن هذه الزاوية بالذات تنفذ الكاتبة الى أعماق الشرط الانساني في مختلف الامكنة ، وان تعدد القرارات التي تنتج عن مثل هذا الشرط ، تؤدي بالفرد الواعي الى القلق والى عدم اتخاذ أي موقف نهائي موحد . ففي أوروبا يشبع الناس ، ويصلون الى حد معقول من الاستقلال الذاتي والوعي ، لذلك يجب أن يحتفظوا بحريتهم وألا يعاملوا كأشياء . ولهذا السبب يجب أن يقاوم هنري جمود الشيوعية وتصلب نظرتها في هذه الامور . أما في بقية العالم فالناس جائعون و « عندما لا يكون ملايين البشر الا حيوانات أضاعتها الحاجات ، فان الانسانية لتبعث على السخرية ، والفردية ليست الا نذالة » . ص ٤٠٣ . ولذلك يجب أن يسحب هنري تحفظاته تجاه الحزب الشيوعي ويؤيد نظرته الى الناس كأشياء لان الناس الجائعين لا يعون ذواتهم ولا يفهمون الحرية . وبذلك يتناقض هنري مع نفسه ويتوقف عن تقرير ما اذا كان هو مع الحزب الشيوعي أو ضده لان الحزب جامد ولا يقر بالتفريق بين الناس بحسب ظروفهم ولذلك فيجب على هنري أن يستمر في مقاومة الحزب من جهة وفي دعمه من جهة ثانية . أما الحزب فانه لا يلتفت الى كل ذلك . انه بدأ بمهاجمة الحركة وباتهام دوبروي أنه عميل لامريكا (حسب العادة) . أما دوبروي فانه لا

يرد الهجوم ، ولا يدفع التهم ، ولا يسمح بالتساؤل ، انه يكتب . فهو من جيل ما بين الحربين ، ويعتبر ان جميع البشر الذين في سنه مسؤولون عن الحرب . ورغم انه ناضل ضدها فقد فشل ، ولذلك كان يعتبر نفسه مذنبا . وها هو يعمل ما في وسعه بعد الحرب الثانية ان يمحو تناقضات العالم وان يمنع مأساة الحرب من ان تتكرر . وحين رأى ان الكتابة وحدها لا تفيد أنشأ حركة « الاشتراكي الثوري الحر » ليبعد فرنسا عن أميركا ويدفعها نحو اليسار دون ان تقع في جمود الشيوعية. لقد حدد مسؤولياته وراز أثقالها ، لذلك لم يكن يعيقه شيء عن العمل ، اما هنري فانه من الجيل الذي استكمل وعيه أثناء الحرب فهو يعي مسؤولياته لكنه يشك في امكانياته . انه يدرك أن عصر الفرد قد تولى الى غير رجعة ، وان الكتل الكبيرة هي التي تقرر دمار العالم أو استمراره . لذلك لا يؤمن كثيرا لا بالكتابة ولا بجدوى العمل . ان ما يهم هنري هو أن يفهم العالم بدل ان يعيد خلقه بالكلمات . ولهذا السبب يقف مشدوها حين يعلم أن قنبلة هيروشيما الذرية قد أبادت مائة الف شخص ومحت من الوجود معالم مدينة بأكملها أما دوبروي فانه يسمع الخبر ولا يلبث أن يخرج أوراقه ليعاود العمل : الكتابة . وفي هذه الاونة يجري حوار طريف :

(هنري ـ ولا تزال لك الشجاعة لتكتب ! !

آن (زوجة دوبروي) ـ انه وحش . انه سيشتغل حتى بين انقاض هيروشيما .

هنري ـ انه يشتغل بين انقاض هيروشيما .

دوبروي ـ لم لا ؟ لقد كانت هناك دوما انقاض في مكان ما)

ص ٤٠٠

وان هذه الرؤية الشاملة مع الانكار التام للذات وما تحتوي من عواطف الخوف والشفقة ، ان هذه الرؤية تحصن دوبروي ضد كل أسف او تعطيل . لا شيء يوقفه عن عمله لانه وعى كل شيء . اما هنري فان عواطفه الذاتية تشله في أكثر الاحيان عن العمل ، لانه يشك في قيمة الدور الذي يلعبه المثقف في توجيه الجماهير . لقد كان يأمل دوبروي بثورة تحتفظ بالقيم القديمة : الحقيقة ، الحرية ، الاخلاق الفردية ، الادب والفكر. وكان قد وجد توازنا سعيدا بين العمل السياسي والكتابة الفكرية الادبية ، في حين أن هنري كان يدرك بشكل حدسي أن لا مجال للجمع بين هاتين الرسالتين ، فاما العمل واما الكتابة . ولما كان يختار الكتابة فقد كان يدافع عن نفسه دائما ليبتعد عن العمل السياسي . ولكن بما أنه فرد واع فان وعيه لا يرضى بالابتعاد عن العمل السياسي وان كانت اهواؤه تطغى عليه دائما ، واشد ما يكون هذا الطغيان اثرا حين يتعلق بقضية عامة ، فهو لا يستطيع ان يتحمل منطق المرحلة ولا يقبل أن يتنازل عن الحقيقة ولا يرضى بأن يساوم على رأيه فيقول نصف ما يعرف ويحتفظ لنفسه بالباقي . وهذا ما أوقعه في أزمة البرتغال ، وفي أزمة ارتباط جريدته « الامل » بحركة الاشتراكي الثوري . وهذا ما يبعده عن الانتساب الى الحزب الشيوعي . انه ليس أنانيا ولا نرجسيا ولا مفترا بذاته ، لكنه صادق تجاه ما يعتقد انه الحقيقة . ولهذا لا يصلح هنري أن يكون حزبيا اذ لا يستطيع أن يحمل نفسه على ما لا تريد . واذا كان دوبروي قد سيطر على نفسه ومحا فرديته وتقمص افكاره بحيث اصبح تحقيق شخصيته مرتبطا بتحقيق افكاره فان هنري ليس كذلك . والمأساة في الرواية تتحدد منذ ان يلتقي رجل العقيدة بالفرد الواعي . واذا كان دوبروي قد ظل يضغط على هنري حتى استسلم هنري واعطاه الجريدة وجهوده كلها ، فلا يجوز لنا ان ننظر بعين الرضى الى هذا الاستسلام . لان الموقف يتطور بسرعة ، فرجل العقيدة قد اصبح سياسيا ، وفي السياسة مبدأ ثابت مفاده ان قليلا من الشر خير تماما اذا قورن بالشر كله . اما بالنسبة لهنري فان الشر شر سواء اذا كان قليلا او كثيرا . ولهذا السبب نرى هنري على استعداد لان ينتقد كل اخطاء الاتحاد السوفييتي مع تأييده الضمني

ـ التتمة على الصفحة ٥٧ ـ

القتيل

«الى قمر اسبانيا الذي قتل بالامس للمرة الخامسة والعشرين ..»

*

الضوء يلهث في الزجاج ، وفي الشوارع
لزجا يمر على النوافذ
وبفوهة الرشاش يختنق الضياء

*

للمرة التسعين في العتمات ، يا فجرا مدمى
قلب يصيح ، بلا عيون
متشبث بالنور .. يا اصرار اعمى
وانسدت الساحات ميتة المنافذ
في وجهه الذبلان ... يا قمرا حزين
خطواتهم كانت على الاسفلت شاحبة الرنين
سكرى ، وفي ايديهمو .. قمر مدمى
كان الغبار ، وبعض اوراق تطير بلا جناح

*

بالامس يا قمرا حزين
اطرقت في وجهي .. وعيناك انفتاح
مملوءتان بخضرة الاوراق والدم والنسائم
كان الرذاذ ينث ، يا همسات هائم
في مقلتيك ، الم تكن يوما قتيلا ؟
وعلى الشفاه الزرق كان الافق غائم
أو لم تسر فوق الندى ظمآن ..
يا عشبا خضيلا ؟

*

من ربع قرن ، كان في عيني نور
ـ ميلاده اللحظات ـ مثل النبع تشربه الجذور
وكنتَ انت بلا عيون !
خصلاتك المذعورة السوداء اغرقت الجبين
وكنت من غرناطه الخضراء ، تشرب كل لون
والارض تغرق في عيونك والسماء

*

لو عدت في مد البحار ، لكنت تنظر للسنين
دربا يمر اليك في مدريد ..
في القلب المدمى
ولكنت تنظر في عيوني :
ـ يا اخضر العينين .. « كنتَ .. »
وفي جبيني
مطر يئن بلا انتهاء

بغداد

سلمان الجبوري

المثقفون في عالم جامح

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٢٠ ـ

له ، بينما يربط دوبروي امكانية نقد الاخطاء بالظروف الداخلية في فرنسا . فاذا ازداد الضغط الامريكي ـ اليميني فليس من المناسب ان ينشر في الامل اي نقد للاتحاد السوفييتي او للحزب الشيوعي . ان هنري من الهواة بينما دوبروي محترف . ولذلك لا بد ان نتوقع الخصام بينهما . ولعل الكاتبة قد عرضت هاتين الطبيعتين الانسانيتين المختلفتين لتشعر القارىء بحتمية الاصطدام بينهما . وهذا ما يحصل حين تعرض لهما مسالة معسكرات الاعتقال في الاتحاد السوفييتي .

فالكاتب سكر ياسين روسي لجأ الى النمسا ثم فر الى امريكا بعد ان حصل على الجنسية الفرنسية . لقد عانى اهوال الثورة الحمراء وشاهد طغيان النازيين .« لقد كان الاتحاد السوفياتي بالنسبة له بلدا عدوا . ولم يكن يحب امريكا : ليس ثمة مكان على الارض يشعر فيه انه في بيته » ص ٥٢ . وهو منذ الصفحات الاولى في الرواية يبدو نذيرا للشر مثل عرافة يونانية . واذا كانت الثقافة والتجربة قد جعلتا من دوبروي رجلا عقائديا واسع الافق ، فان المعاناة والمشاهدة المباشرة قد جعلت من سكر ياسين نذير شؤم . فهو يعرف سلفا المشكلة التي سوف تواجه المثقفين الفرنسيين : « ان المثقفين الفرنسيين في مازق . ان فنهم وفكرهم لن يحتفظا بمعنى الا اذا نجحت حضارة معينة في البقاء . واذا ارادوا انقاذها فلن يبقى لهم شيء يقدمونه لا للفن ولا للفكر ..

« لا بد ان يكون وراء المرء تقاليد مقدسة في المذهب الانساني حتى يهتم بمشاكل الثقافة تجاه ستالين وهتلر . من البديهي انكم ، في بلاد ديدرو وهوغو وجوريس ، تتصورون ان الثقافة والسياسة تسيران يدا في يد . لقد اخذت باريس منذ مدة طويلة باثينا ، ولكن اثينا لم تعد موجودة .

« لنر اية اهمية ستظل لرسالة الكتاب الفرنسيين عندما تعود الهيمنة على العالم الى الاتحاد السوفياتي او الولايات المتحدة ؟ لن يفهمهم اي انسان ولن يتحدث بلغتهم احد . « واحد من امرين : اما ان يضطر رجال كدوبروي وبيرون الى مواجهة الموقف وجها لوجه، ويلتزموا عملا يستهلكهم كليا ، واما ان يغشوا، ويصروا على الكتابة فتكون اعمالهم مفصولة عن الواقع ومحرومة من كل مستقبل » . ص ٥٣ ـ ٥٨

لكن احدا ما لا يستمع الى هذا الغراب العائد من بلاد موحشة ويستغرق الامر ثلاث سنوات حتى يكتشف المثقفون معنى كلامه ويقنعوا بانهم يواجهون قدرا ساحقا بامكانيات غير مجدية . وهذا ما يجعل هذه الرواية ماساة يونانية تجري على ارض معاصرة . والضحية فيها فرنسا التي اصبحت دولة من الدرجة الخامسة ومثقفوها الذين يريدون ان يحاربوا باقلامهم قوتين تتنازعان العالم باكمله ، دون ان يعوا ذلك تمام الوعي . وحين يعرفون الحقيقة تكون هزيمتهم قد تمت منذ امد بعيد. « لا بد للتاريخ ان ينتهي الى قيام مجتمع بلا طبقات : انها مسالة قرنين او ثلاثة . ولسعادة البشر الذين يعيشون في هذه الفترة ، اتمنى بحرارة ان تتم الثورة في عالم تسيطر عليه امريكا وليس الاتحاد السوفييتي » ص ٥٧ وما دام سكر ياسين قد تجاوز كل المراحل التي يمر بها هنري وروبير فانه قد قرر ان يعمل مع امريكا بدون تحفظات ، وان يحارب الاتحاد السوفييتي بدون تحفظات ايضا . وسكر ياسين هو الوسيط الذي يجلب الامريكي ليفاوض هنري على شروط مساعدته بالورق ، وهو الان يستضيف لاجئا فر من روسيا عن طريق المانيا الغربية . هذا اللاجيء هو موظف سوفييتي كبير هارب من الاتحاد السوفييتي ، يأتي مع سكر ياسين الى هنري ودوبرژي ويتحدث عن معسكرات العمل والاعتقال الاداري . هذه المعسكرات التي تضم ما يقارب الخمسة عشر مليونا من الرجال ، والتي تعتمد على نظرية فائض الانتاج : ان برنامج التوظيف في الدولة السوفييتية يتطلب زيادة في الانتاج لا يمكن ان تتم الا عن طريق عمل اضافي تكلف به بروليتاريا تحتية لا تتلقى مقابل اقصى حد من العمل الا ادنى حد من اسباب الحياة . وقد خولت ادارة المباحث الحق في ان تعتقل من تشاء عن طريق تدبير اداري صرف . ويقضي المعتقل خمس سنوات في هذا السجن . اما بالنسبة للعقوبات ذات المدة الاطول ، فلا بد من محاكمة وحكم سابق . ومما يزيد في اهميتها بالنسبة للنظام السوفياتي ان ١٤ بالمئة من مشاريع البناء عهد بها الى المباحث ، اي الى معسكرات العمل . « لقد اصبحت المعسكرات مؤسسة حكومية تؤدي الى تكوين منظم لبروليتاريا تحتية . وما كانوا يعاقبون الجرائم بالعمل ، بل كانوا يعاملون العمال كمجرمين ليسمحوا لانفسهم باستغلالهم » ٦٤ جـ ٢ . وكان رد الفعل الطبيعي متغايرا بين روبير دوبروي وهنري بيرون بسبب اختلاف نظرتيهما الى القضية : ان هنري يرى خطورة هذه المأساة فيعلن فورا انه ينوي ان يفضحها ، في حين ان دوبروي يرى في فضحها امعانا في الابتعاد عن الحزب الشيوعي مما يؤدي الى زيادة انقسام اليسار ، كما يرى انه اذا ضعف موقف الاتحاد السوفييتي في فرنسا فان اليمين سوف يكسب من ذلك . وتجنبا لاي اصطدام بينه وبين هنري اعلن انه يشك في كلام هذا الموظف الذي هرب : يقول دوبروي لسكر ياسين : ـ « انني لا اعرف لماذا هرب صديقك ولا لماذا تعاون صديقك مع هذا النظام الذي يفضحه امامنا». ص ٥٤٥ جـ ١

فيعطيه اللاجيء وثائق رسمية هي شهادات صدر بعضها عن مراقبين امريكان دخلوا الى الاتحاد السوفييتي كحلفاء وقت الحرب ، وبعضها قد صدر عن منفيين سلمتهم روسيا الى النازية اثناء الحلف السوفييتي ـ الجرماني ووجدوا في سجون المانيا . وكانت هناك اوراق تحدد امكنة معسكرات الاعتقال « كاراغاندا ، تزاردكوي ، اوزبيك » لم تكن كلمات : كانت قطعا من السهوب الجليدية ، من المستنقعات ، من المآوي الخشبية العفنة حيث يشتغل رجال ونساء اربع عشرة ساعة في اليوم مقابل ستمئة غرام من الخبز ويموتون من البرد ، ومن داء الحفر والزحار والانهاك . وما ان يصبحوا اضعف من ان يستطيعوا العمل حتى يسجنوهم في مستشفيات حيث يجوعونهم بشكل منتظم حتى الموت ... في الاتحاد السوفييتي ايضا يوجد بشر يستعبدون بشرا اخرين حتى الموت .. !! » ص ٥٤٤ جـ ١ .

ويعلن الموظف اللاجيء ان لديه في المانيا الغربية اصدقاء سيقدمون لهم معلومات دقيقة عن هذه المعسكرات ، فيوافق دوبروي على ايفاد احد مراسلي جريدة الامل الى المانيا الغربية ، رغبة منه في ايجاد الوقت الكافي ليتخذ قراره في هذا الموضوع بعد ان يقتنع به من جهة ومن جهة اخرى ليسكت الاصوات التي ارتفعت تطالب بفضح هذه القضية . وكانت اصوات شركاء في الجريدة ومقاومين ناضلوا ضد النازية ومثقفين يستحقون ان يبدوا رأيهم ، واعضاء في حركة الاشتراكي الثوري الحر :

« انتم لاتعرفون ما المعسكر ! سواء كان روسيا ام نازيا ، فهذا شيء متماثل : اننا لم نحارب البعض لنشجع الاخرين . » لكن دوبروي مصر على تجنب اثارة الرأي العام ضد الاتحاد السوفييتي واما هنري فقد خرج و «كان لا يزال مذهولا.بديهي ان جورج لم يخترع كل شيء.. بل ربما كان ايضا صادقا . كانت هناك معسكرات استحال فيها خمسة عشر مليون شغيل الى ماهو ادنى من الكائنات البشرية . لكن بفضل هذه المعسكرات قهرت النازية واخذ بلد كبير يبني نفسه ، وتتجسد فيه الفرصة الوحيدة لالف مليون ممن هم دون البشر يعيشون في الصين والهند ، الفرصة الوحيدة للايين العمال الخاضعين لوضع لا انساني . فرصتنا الوحيدة . وتساءل في خوف « هل ستفلت منا هي الاخرى ؟ » . كان يعرف جيدا نواقص الاتحاد السوفييتي واخطاءه : لكن هذا لايمنع ان الاشتراكية ، الاشتراكية الحقيقية التي ستتوافق فيها الحرية والعدالة ستنتهي ذات يوم الى الانتصار في الاتحاد السوفييتي

وعن طريقه . واذا كان هذا اليقين يهجره هذا المساء ، فان المستقبل باكمله سيغوص في الظلمات . » ص ٥٥١ جـ ١ .

وعاد مراسل الجريدة بعد ثلاثة اشهر كان دوبروي خلالها يقول : « اذا سكت فانني متواطىء مع الاتحاد السوفياتي . لكن اذا تكلمت اصبحت متواطئا مع اعداء الاتحاد السوفييتي اي مع جميع الذين يريدون ان يبقوا على العالم كما هو . صحيح ان هذه المعسكرات شيء فظيع لكن يجب الا ننسى ان الفظاعة هي كل مكان.» ص ٦٦ جـ ٢ . لكن كون الفظاعة في كل مكان لايبرر وجودها ولا يبرر السكوت عنها . ورغم كل ذلك قرر دوبروي ان يسكت عن القضية لان الحديث عنها في فترة الانتخابات يضعف من موقف اليساريين . وما دام هذا الموظف سيلتجيء الى صحف اليمين لاثارة الموضوع فمن الافضل ان يتركه اليساريون . يقول دوبروي « ان الدور الذي نحاول ان نلعبه هو دور اقلية معارضة خارجية عن الحزب لكنها متحالفة معه . واذا ماتوجهنا لمحاربة الشيوعيين حول اي نقطة كانت فاننا لن نعود معارضة . »

واذن فقد تضخمت هذه القضية حتى اصبحت تشمل موقف هؤلاء المثقفين ومعنى وجودهم . وفي الحقيقة فان مهارة الكاتبة وذكاءها كروائية اصيلة ينبعان من قدرتها على تطوير كل قضية يطرحها العالم الخارجي على ابطالها تطويرا تتعمق فيه هذه القضية حتى تصل الى مستوى الموقف الانساني من الحياة باكملها . وقد عنيت بتطويل شرح هذه القضية كبرهان على الحكم النقدي الذي استخلصته منها . وان تعميق الاحداث على هذا المستوى يحمل قدرة فائقة تشير الى امكانية البحث في حياتنا اليومية على مستوى موقفنا من الوجود . لقد نبذت الكاتبة المشاكل الفكرية التقليدية التي طرقها كل من جوته ودوستويفسكي وتولوستوي ، وهي مشاكل ميتافيزيكية في جوهرها ، وقدمت لنا الحياة اليومية في منظور وجودي يمنح كل حادثة عمقا يصل بها الى جذور الحياة في معناها وجدواها او عبثها . فهؤلاء المثقفون مخيرون تجاه هذه المشكلة اما بان يتركوها لليمين فيدينوا انفسهم بصمتهم ويقبلوا بان يتآمروا مع الاتحاد السوفييتي وبأن يكونوا انصارا للشيوعيين وهذا رأي دوبروي ، واما ان يجعلوا اليسار يتبنى هذه القضية عبر اوروبا كلها وفي هذه الحالة يكمن الضغط على الاتحاد السوفييتي . لقد تعود الناس على ان يتهم اليمين الاتحاد السوفييتي ولذلك فان اثارة اليمين للقضية يقتلها اما اذا تبناها يسار شريف فيمكن ان يحييها . وكان هذا رأي هنري . وحين اصر كلا الطرفين على رايه افترقا وفي اليوم التالي صدرت « الامل » وفيها الخطوط الكبرى لنظام العقوبات في الاتحاد السوفياتي. وقد حاول هنري ان يبين ان وجود المعسكرات يدين سياسة معينة ، لا النظام باجمعه ، وفي اليوم التالي حمل رسول رسالة دوبروي التي تعلن فصل هنري بيرون من حركة الاشتراكي الثوري بسبب معاداته للشيوعية عن طريق وقائع لايمكن ان يحكم عليها الا بنظرة شاملة للنظام الستاليني . وان التقليل من اهمية الشيوعية خدمة مباشرة للرجعية. وهكذا يؤدي اختلاف النظرتين الى افتراق الرجلين . لكن طرد هنري يعني ان حركة الاشتراكي الثوري قد انقسمت اذ شايع بعض اعضائها هنري وبعضهم دوبروي ، كما ان الحركة بدون جريدة قد تبددت بسرعة وترك دوبروي اعضاء الحركة احرارا في الانتساب الى الحزب الشيوعي. اما هو فقد أعلن « انني لا اريد ان اعمل مع الشيوعيين ولا ضدهم ».. ص ٢٠٠ جـ ٢ . و « لقد انتهى الامر بيني وبين السياسة . انني عائد الى جحري » . اما هنري فقد غطاه اليمين بالزهور دون ان يريد ذلك . بالاضافة الى ان وضعه مع شركائه قد تدهور فقد كانوا خمسة يملكون الجريدة : هنري بيرون ولوك أسساها ايام المقاومة ثم انضم اليهما لامبير وتعهد لهنري ان يصوت الى جانبه بصرف النظر عن قناعته الشخصية . اذ ان لامبير كان مثقفا مناضلا غنيا وينظر الى هنري نظرته الى نموذج فذ من الثقافة والرجولة . ثم انضم اليهم الرأسمالي تراريو وصديقه سامازيل وهو مثقف ومقاوم . وحين طرد هنري من الحركة طرد معه سامازيل . وكان تراريو وسامازيل ديغوليين لكن هنري كان يملك ثلاثة اصوات ، صوته وصوت لامبير ولوك لذلك كان يستطيع ان يقرر سياسة الجريدة كما يريد وخاصة حين كان منسجما مع حركة الاشتراكي ، وقد ضعف مركزه المعنوي بفشل حركة الاشتراكي ثم خسر جولته حين قرر لامبير ان يتخلى عنه وينضم الى تراريو وسامازيل . والسبب في ذلك ان هنري كان يعهد للامبير بكتابة الريبورتاجات ، في حين ان لامبير كان يكتب قصصا يرفضها هنري فيمتعض لامبير حتى جاء وقت تعرف فيه لامبير بكاتب يميني يدعى لويس فولانج فاعلن هذا تبنيه لقصص لامبير كما ان نظرتيهما قد توافقتا في كثير من المسائل واخصها مهمة الادب . فقد كان فولانج يريد ان يبتعد الادب عن السياسة وكان لامبير يحب ذلك . الا ان هنري كان يحتقر فولانج ويدينه لانه لم يشترك في المقاومة ايام الاحتلال . ولهذارفض هنري ان ينشر مقالات فولانج في الاصل بعد القطيعة مع الاشتراكي الثوري . وحين طرحت القضية على التصويت صوت تراريو وسامازيل ضد هنري ولوك ولامبير الا ان لامبير افهم هنري انه لم يعد يحتمل موقفه وانه سينحاز الى صف الديغوليين مع تراريو وسامازيل فاضطر هنري الى الاستقالة من رئاسة تحرير الجريدة والى بيع حصته وحصة لوك . اما جريدة الامل فقد استلمها فولانج اليميني ودمجها مع مجلة « الايام الجميلة » وهكذا خسر هنري الجريدة والاصدقاء وعادى اليمينيين والشيوعيين وتسبب في هزيمة حركة الاشتراكي الثوري وانحلالها . وبقي وحيدا في عالم ظالم متحامل ولم يبق لديه الا شرفه الذي أملى عليه سلسلة من المواقف تجاه الحقيقة .

وهذه المواقف بالذات هي التي جعلته يخسر كل شيء . فليس بامكان الانسان ان يعمل في السياسة دون ان يسام . وقد فضل هنري الخسارة على المساومة . ان الكاتبة قد رمزت لمكاسب المقاومة بالجريدة، وان وصولها الى ايدي اليمينيين يعني انهم قد جنوا ثمار الحرب وثمار المقاومة وثمار النوايا الطيبة والمقاصد الشريفة . بضع ضربات بدات بانفصال الشيوعيين عن الحركة ثم بانقسام الحركة على نفسها .. بضع ضربات منظمة ادت الى خسارة اليسار باكمله . وسبب الخسارة هو

صدر حديثا :

عيناك قدري

قصص

بقلم غادة السمان

الثمن ٣ ل.ل

منشورات دار الاداب

ظهرانية المثقفين اليساريين ان الكاتبة تبرهن بطريقة واقعية تماما انه ليس للضمير الحر مكان في هذا العالم . وان ليس في وسع الانسان ان يعمل للخير المطلق ، لا لان الخير المطلق لا وجود له بل لان الشر منبث في كل مكان من العالم ، ولن يستطيع المرء ان يعمل للخير دون ان يعادي العالم بأسره . اما اذا رضي بالواقع الذي يقول ان العالم منقسم الى معسكرين كبيرين ، فان عليه ان يختار أهون الشرين وان يحتفظ لنفسه باعتراضاته الخاصة تجاه الطرف الذي يختاره . وليس بامكان المرء ان يختار طرفا ثم يحاربه ويحارب الطرف الاخر . اذا اختار المرء احد المعسكرين عليه ان يقتصر على حرب المعسكر الاخر دون ان يكون له الحق في محور الشرور التي تتولد في معسكره الخاص ، بل عليه ان يصمت عن هذه الشرور او يباركها عند اللزوم . ان هنري في بداية الرواية يتساءل : « من اين ينبع هذا الجفاف الداخلي الذي يشله ؟ » وها نحن نستنتج الجواب : ان الجفاف الداخلي ينبع من وعي هنري للعالم . فقد توصل هنري الى درجة من الوعي فقد معها احساسه بجمال الطبيعة وحماسة العمل ولذة الجنس وروعة الحب . لقد كانت الطبيعة في البرتغال جميلة لكن وعي هنري للفقر المميت في البرتغال منعه من ان يتمتع بهذا الجمال . انه يقول : « لنفترض انك ترى الانوار ليلا عند ضفة الماء . هذا جميل . لكن عندما تعلم انها تضيء ضواحي يموت فيها الناس جوعا ، تفقد كل شاعريتها ، ولا تعود الا صورة خادعة للعين» ص ٤٠٧ جـ ١ . وما دام الجمال سرابا فليس في الحياة تعلة للنفس ولا لبانة للقلب . ولا بد لانسان يعاني هذا التمزق بين الاحساس بالجمال والاحساس ببؤس الاخرين .. لابد لمثل هذا الانسان من ان يشعر بان الجفاف الداخلي يشله . انه مشلول تجاه تناقضات العالم : جمال الطبيعة وبؤس الانسان . رغبته في ان يعيش حياته ككاتب ، ووعيه الذي يفرض عليه ان يهب حياته لتحرير الانسان ، اختياره للاتجاه اليساري ومواقفه التي ادت الى انقسام اليسار . أمله في الاتحاد السوفييتي كمحرر للانسان ومعرفته بأمر معسكرات الاعتقال التي تسترق الانسان ..

كل هذه الامور تناقضات ذات شقين لكل منهما قوة في الجنب تعادل قوة الطرف الاخر ، وما دام لايستطيع ان يفضل احد الطرفين فلا بد ان يقف مشلولا مكتوفا . واخيرا فان هناك امرا أساسيا في هذه المشكلة ؟ ان الانسان يعمل على أمل ان ينجح في العمل ويرى نتائج جهده ظاهرة واضحة الملامح . وهؤلاء المثقفون يأملون في ان يؤثروا على وطنهم وعلى العالم اجمع ، لكنهم سرعان مايكتشفون ان وطنهم غير ذي بال في الصراع العالمي . كما يرون ان الطرفين اللذين يمتلكان القوة اعتى واكثر جبروتا من ان يؤثر فيهما موقف رجال مثقفين ذوي ضمير . وما دام العمل بدون نتائج فان المرء ليشعر بالاسى يمتلك نفسه وبالضعف يشل قواه وبالخور يدب الى عزيمته . ان العالم يقول : اعملوا ماتشاؤون فلن يؤثر هذا في سير الاحداث ..وبعد كل ذلك . ألا يشعر المرء بانه منسحق تحت وطأة اقدار لاقبل له بمقاومتها ؟

*

على ان الرواية ليست هذا العالم الجاف الساحق فقط ، بل لعلي قد بالغت في عرضه لانني وجدته اكثر تعقيدا واهمية من بقية الرواية . ان الكاتبة لم تقتصر على عرض الجانب العام من حياة ابطالها ، بل انها تقصت حياتهم الداخلية واغنت رواياتها بمشاعر دافئة حينا وشديدة الحرارة احيانا ويائسة محزنة بشكل تراجيدي في احيان اخرى . ولقد قالت على لسان دوبروي :

« لكان اليسار محكوم عليه بأدب دعاوي : كل كلمة فيه يجب ان تكون قدوة صالحة للقارىء .. هذا مايجب ان يكون عليه ادب يساري : ان يرينا الاشياء من خلال منظور جديد بوضعها في مكانها الحقيقي . لكن علينا الا نفقر العالم . ان التجارب الشخصية موجودة .» ص ٤٠٨ جـ ١ .

ولقد اخلصت الكاتبة لهذا المفهوم تمام الاخلاص ، فلم تستنكف عن عرض التجارب الشخصية وتحليلها ووضعها في مكانها من تطوير الرواية، فجاء عملها الروائي مستكملا لجوانب الحياة الانسانية ، وفيا لها . وما دام هؤلاء الابطال احياء من لحم ودم فان لهم قلوبا تعشق وتمل واجسادا

صدر حديثا

تأمّلاتٌ وجُودّية

بقلم الدكتور

زكريا ابراهيم

- لون جديد لم يعرفه الادب العربي من قبل
- خواطر ويوميات تشتعل بالفكر والحياة وتتناول مشاكل الوجود والموت والعدم والظلام ، وتذكرنا بيوميات كيركجورد وغابرييل مارسيل .
- مذكرات حية تلوح كلمع من النجوم وسط حلكة الجفاف الاكاديمي .
- كتاب هام يعيش قضية « الفكر » وسوف يكون بدء سير في طريق جديد من طرق التعبير بالعربية

الثمن ٢٠٠ ق.ل

منشورات دار الاداب

تشتهي وتسأم وعواطف تتلون فتشتد او تتلاشى . واذا كنا حتى الان لم نتكلم عن المرأة ، فلان الكاتبة لم تسند الى المرأة أي دور في العمل الفكري او السياسي . اما في الحياة الخاصة فان الرجل يشحب ويتلاشى امام المرأة . لان المرأة هي التي تتخذ موقفا وتثير الشجن وتتكلم وتناقش بحيث لاتعود تصرفات الرجل الا ردود فعل تستحق الشفقة . فدوبروي المفكر الذي تفرغ للعقل وشؤون الانسان متزوج من آن التي تعمل طبيبة في التحليل النفسي . ولعلها هي المرأة الوحيدة الواعية في هذه الرواية . وهي في معظم الاحيان تقوم بدور الراوية فتروي الاحداث وتحللها وتناقش زوجها واكاد اقول انها توجهه من طرف خفي ، كما تفعل معظم النساء الذكيات بأزواجهن . وهي اذا تزوجته عن حب واعجاب ، فذلك لايمنعها من خيانته بعد ان خمدت ثورة جسده واصبح في الستين متفرغا للكتابة مهملا لواجبات الجسد . بل استطيع ان اقول انها لاتضع علاقاتها الجسدية مع غير زوجها موضع الخيانة مطلقا انها تعود اليه بعد كل مرة عودة المتفضل المجبر بصورة ادبية على العودة . كانت ترى ان وجودها الى جانب زوجها دوبروي يفيده ويفيدها ايضا اذ يساعدها على الاحتفاظ بحياتها دون هزات جذرية ولا فضائح . ولكي تتضح صورة آن دوبروي في اذهاننا محددة الملامح ، نقول انها امرأة في التاسعة والثلاثين نشأت بتوجيه ديني واسرة محافظة . وقد كانت تنظر الى الناس بعين طبيبة نفسية فكان هذا يجعل من الصعب عليها ان تنشيء معهم علاقات انسانية . ولقد كانت لها ابنة في الثامنة عشرة مصابة بعقدة اوديب وبهستريا تجعلها تهرب من كل احزانها ومشاكلها عن طريق الجنس . ونستطيع ببساطة ان نقرر ان سلوك البنت يثير الغيرة في الام . بل ان نادين تتحدى امها آن وتصرخ في وجهها :

« أتسمين هذه حياة ! بصراحة ، ياماما المسكينة ، أتعتقدين انك عشت ؟ ان تتحدثي مع بابا نصف اليوم وتداوي المجانين في النصف الاخر، ثم تتحدثين عن حياة ! » ونهضت ثانية وضربت ركبتيها . كان صوتها مغيظا : « يحدث لي ان ارتكب حماقات ، لا اقول لا . ولكني افضل ان انتهي في ماخور على ان انتزه في الحياة بقفازات جدي عديم الحرارة. ابدا لن تنزعيها .. قفازاتك تلك . انت تمضين وقتك في اعطاء نصائح . وماذا تعرفين عن الرجال ؟ انا واثقة من انك لاتنظرين الى المرآة ابدا ولا تشاهدين كوابيس ابدا » . ص ١٠١ ج ١

كانت نادين تريد ان تدافع عن نفسها ضد انتقادات امها في افراطها في الجنس فهاجمت امها وتحدتها . ولقد قبلت آن التحدي فاستسلمت لاول رجل دعاها . وكان الرجل هو سكر ياسين . قال لها :

« ـ اذا اقترح عليك رجل تشعرين نحوه ببعض الميل ان تمضي الليل معه فهل تفعلين ذلك ؟

« ـ هذا يتوقف ...

« ـ علام ؟

« ـ عليه ، على الظروف

« ـ لنفترض انني اقترح عليك ذلك . الان .

« ـ لست ادري .

« ـ انني اقترح ذلك عليك . نعم ام لا ؟

« ـ انت تتقدم بسرعة كبيرة .

« ـ انني اكره التصنع . ان مغازلة امرأة اذلال لها وللذات . لااعتقد انك تحبين الملاحظات المتكلفة ..

« ـ كلا . ولكني أحب ان افكر قبل ان اتخذ قرارا .

« ـ فكري . » ص ١٢٢ ج ١

وتفكر فيما بينها وبين نفسها ان نفاد صبره يؤكد انها قابلة للاشتهاء . وتذهب معه الى غرفته وتنقل القاريء الى تفصيلات دقيقة لليلة الفاشلة التي قضتها معه . لكن هذه الليلة تؤدي بها الى ان تتخذ قرارها : سوف تكون مع جسدها ولكن الى جانب رجل تحبه . وسرعان ماتسنح لها الفرصة حين تسافر الى امريكا لحضور مؤتمر في الطب النفساني فتتعرف على كاتب امريكي يساري يدعى ليويس بروغان وقد عانى مختلف أنواع الفقر قبل ان يصبح كاتبا . وان الشخصيات التي تكافح لتصنع نفسها وتنجح تحتفظ دائما ببساطة جذابة وحيوية آسرة مع شيء من المرارة التي تلازمها اثناء نشأتها القاسية . ولقد عبدت آن هذه التلقائية في ليويس بروغان وجازفت من اجلها لمدة ثلاث سنوات بالطيران عبر الاطلسي من باريس الى شيكاغو . ولا يملك القارىء الا ان يرتعش للصفحات الثلاثمائة التي تخلد فيها الكاتبة حبها : « كانت رائحته ، حرارته تسكرني . وشعرت ان حياتي تغادرني ... حياتي القديمة المهترئة . وضم اليه ليويس امرأة جديدة كليا ، واننت ، ليس فقط من اللذة بل من السعادة ». ص ٥٣ ج ٢

وحين يرجوها ليويس ان تبقى الى جانبه وترفض يتحول حبه الى حقد يتراكم مرة بعد مرة حتى يسيطر عليه . وحين تزوره في السنة الثالثة يستقبلها ببرود وتمضي معه ثلاثة اشهر جامدات تعود بعدها محطمة كسيرة النفس فتعزم على الانتحار : « كنت اشعر ببرود ، بيد انني كنت اسيل عرقا . كنت خائفة . ثمة شخص سوف يسممني . كنت انا ولم اعد انا ، وكان ظلام أسود ، وكان كل شيء بعيدا قصيا . شددت على زجاجة السم . كنت خائفة ، لكني كنت اريد من كل روحي ان اقهر الخوف .» ص ٥٢٢ ج ٢ . قد يظن المرء ان ثمة مبالغة في موقف آن. لكن موقفها مبرر تماما اذا نظرنا الى مجموعة ملاحظاتها عن النساء اللواتي في سنها . فجميعهن عند بلوغهن سن اليأس يقعن في حب فاشل ثم يتهالكن على الرجال . ولعل رفعة مكان روبير دوبروي يحصن زوجته آن من ان تتبذل ، ولذلك تقرر ان تنهي حياتها . انها لاتريد ان تتذلل للرجال ولا تريد ان تكافح رغباتها .. فما عليها اذن الا ان تنتحر .لكنها تتغلب على أزمتها هذه حين تفكر :«سأموت بمفردي ، بيد ان الاخرين سيعيشون موتي .. ان موتي لايخصني . الزجاجة لاتزال هنا ، بمتناول يدي ، الموت لايزال ماثلا . لكن الاحياء ماثلون اكثر منه ايضا . لن استطيع ان افلت منهم ما دام روبير على الاقل حيا . » ص ٥٢٤ ج ٢

حقا ان امريكا انعشت فرنسا ، لكنها لم تعد اليها مجدها المفقود،

نظرة جديدة في الفن العربي

فن المتنبي

بعد الف عام

بقلم

ابراهيم العريض

يصدر قريبا

تماما مثلما انعش حب ليويس قلب آن وجسدها دون ان يعيد اليها شبابها ، بل لعل تلك اليقظة المفاجئة لعواطفها وذلك الهجر المفاجيء قد عجلا في وعيها لشيخوختها وانتهاء حياتها . وهي قد فقدت منذ زمن بعيد ايمانها بهذا العالم . اما الآن فقد فقدت ثقتها بنفسها وتخلى عنها ايمانها بقدرها الخاص . ان آن كامرأة ذكية واعية لم تقف من الاحداث التي تجري حولها موقف اللامبالاة . لقد بدا الجفاف يتسرب الى حياتها منذ البدء . كانت تقول : « ماقيمة التوازن الفردي في مجتمع ظالم ؟ واذا كنت اخلص مرضاي من خيالاتهم الكاذبة فهذا لكي اجعلهم قادرين على مواجهة المشاكل الحقيقية التي تطرح نفسها في العالم .. هذا ماكنت اعتقده بالامس . ولكن هذا يفترض ان لكل انسان عاقل دورًا يلعبه في تاريخ يقود الانسانية الى السعادة . انني لم اعد اومن بهذا الانسجام الجميل » ص ٩٥ جـ ١ . ان ثقافة آن ووعيها يمنعانها من الانتحار او التبذل ويمنحانها صلابة تقدر بها على احتمال الشيخوخة وانتظار الموت . لكن هناك بطلة اخرى في الرواية تتهدم تماما امام حياة مابعد الحرب . ان الجميع كانوا يعتبرون الحرب فترة كفت فيها الحياة عن ان توجد . وحين انتهت الحرب تلهف الجميع على استئناف حياتهم بما فيهم هنري وعشيقته بول . كانت بول قبل الحرب بسنوات مغنية وتردد هنري الى البار مرارا . وذات يوم قال لها « تعالي نرقص » فمدت اليه في حركة متراخية قفازيها الطويلين البنفسجيين وقالت بصوت حار جدا : « نعم ، لنرقص . »

« كانا قد صعدا الى منصة وسط قصر المرايا ، وفي كل مكان حولهما كان منظرهما يتضاعف الى ما لا نهاية بين غابات من الاعمدة : « قل انني اجمل النساء ـ انت اجمل النساء ـ وستكون اعظم رجال العالم مجدا » . ص ١٣ جـ ١ .

وحين انتهت الحرب كانا يأملان . كان هنري يأمل في ان يبدأ حياة جديدة بعيدة عن بول . بينما كانت بول تأمل في ان تستعيد حياة ما قبل الحرب . وفي ليلة التحرير عادت الى لعب دور العاشقة المجنونة لكنها كانت تلعب بمفردها . ولعل اول مشكلة اعترضتها ان هنري صرح لها بانه سينتقل من البيت المشترك الى الفندق ليعيش وحده وحين يذهب الى البرتغال يتركها في باريس ويأخذ نادين ابنة دوبروي ثم ينفصل عنها ويستبدلها بممثلة شابة جميلة تدعى جوزيت ، وقد تعرف عليها بعد ان كتب مسرحية وقامت فيها«جوزيت بدور البطولة . وكان خلال ذلك يحاول ان يقنع بول بالعودة الى الغناء كي تنفتح على العالم وتنشغل عنه ، لكنها كانت قد صنعت عالمها من حب كبير ، ولم تبق لديها القدرة ولا العزم كي تبدأ حياة جديدة . كانت ترى ان الحب ابدي وهو قيمة تستحق ان يكرس لها المرء حياته كلها . وظلت تتعامى عن تصرفات هنري وتسمح له بكل شيء الا ان يهجرها حتى ادى بها هذا الاذلال للذات الى الجنون . لقد فقدت المنطق وبدأت تنظر الى الناس كاعداء لها . كلهم يحاولون ان يسرقوا هنري اما هي فسوف تستميت لتحتفظ به . ولا تلبث ان تطرد اصدقاءها وتوزع اتهاماتها عليهم جميعا وتقلق في الليل وتمتنع عن الطعام وتكلم نفسها وهي وحيدة وينتهي بها الامر الى تحطيم الاثاث وحرق الرسائل والثياب ثم الاغماء امام آن وتفتش آن محفظة بول فتعثر على زجاجة سم صغيرة فتنقلها الى محفظتها وتأخذ بول الى مستشفى . ان بول تشفى ويمحي حبها من قلبها وتعيش مثل ملايين النساء : « امرأة تنتظر ان تموت دون ان تعرف بعد الان لماذا تعيش » ص ٢٣١ جـ ٢ . وهذه الزجاجة تبقى مع آن حتى يهجرها ليويس فتفكر بان تنهي بها حياتها . ولعل اطرف مشهد بعد ان تشفى بول هو المشهد الذي تجتمع فيه مع آن . لقد اجتمعت الطبيبة والمريضة ، كلتاهما تتألمان من جرح واحد . تقول آن كانت الدموع تخط اخاديد ثقيلة في جلد بول الرطب . وكانت تتجاهلها. ربما كانت قد ذرفت كثيرا حتى ان جلدها فقد حساسيته وكانت بي رغبة في البكاء معها على ذلك الحب الذي كان خلال عشرة اعوام معنى حياتها وكبريائها ، والذي انقلب الى قرحة مخجلة . وشربت جرعة من الوسكي وشددت على كأسي في يدي وكأنه تعويذة . وكنت اقول في نفسي : « احب ربي ان أتألم حتى الموت من ان اثير في الريح رماد الماضي وانا اقهقه » . ص ٣٧٤ جـ ٢ . ان حالة بول وذلها هي التي دفعت آن الى الانتحار ، لكن الذي عصم آن وحفظ لها حياتها هو وجود زوجها روبير دوبروي والطمأنينة التي يبعثها في نفسها. وتنتهي الرواية بان تشفى المرأتان ويتزوج هنري من آن ابنة دوبروي . ويكف هنري بيرون وروبير دوبروي عن التدخل في السياسة وينكفئان الى الكتابة ، ولا يعود للقاريء من هذا العالم الذي قدمته دوبوفوار الا الحطام : وطنهم ، فرنسا ، قد تحطم . اليسار بأكمله، بما فيه الشيوعيون قد تحطم . امل المثقفين في يسار يحتفظ بالقيم الانسانية قد تحطم . الحب الفردي قد تحطم . لم يبق شيء . ومع ذلك فيجب ان يستمروا في الحياة ، دون امل باصلاح العالم او بالحصول على السعادة الفردية .

*

اتبعت الكاتبة في سرد هذه المأساة طريقتين : طريقة سرد الاحداث من الكاتبة مباشرة، وطريقة رواية الاحداث على لسان آن زوجة دوبروي. وقد استخدمت الطريقة الاولى بموضوعية وضبط في الاسلوب وفي ملاحظة الابطال . وقد جاءت رواية آن متممة لما روته الكاتبة ، مع ملاحظة أن رواية آن قد افادت في عرض قصتها الطويلة مع ليويس بروغان ورحلاتها اليه في اميركا . كما ان اللقطات الموضوعية تكاملت مع الملاحظات الذاتية التي اوردتها آن.وبما ان ميتافيزيكية القصة تنبع من ربط احداث الحياة المعاصرة بمعنى هذه الحياة وغايتها ، فان كل حادثة تنتهي حين تلامس هذه القضية ، قضية معنى الحياة ، وهكذا يبدو بناء الكتاب متينا متناغما على شكل حلقات متداخلة ما تكاد تبدأ احداها حتى تنتهي الاخرى . ونرى سلسلة من التبريرات تمسك بالحادثة من مبدئها حتى تنتهي بها الى خدمة الهدف الرئيسي ، وهو علاقتها بمعنى الحياة وغاية حياة كل فرد . وهكذا تربط المؤلفة الخاص بالعام في كل مسألة فتحتفظ بمستوى واحد للاحداث مع تنوع هذه الاحداث نفسها حتى كأننا في سيمفونية متناسقة الاجزاء تدور كل انغامها الثانوية لتخدم النغم الاساسي الذي يظهر كلما انتهت حادثة وابتدأت اخرى . فاذا أضفنا ان كل حادثة تنتهي بالخيبة وان كل حادثة تبدأ بنهوض الاطفال ليعاودوا صراعهم من جديد ، عرفنا اية وحدة في التأثير توصلت اليها الكاتبة . تبدأ الرواية بتحديد ارض المعركة : الصراع بين هنري ودوبروي من جهة وبين الشيوعيين من جهة اخرى ، على اساس ان روبير دوبروي اذا ساعد الشيوعيين يخون قيمه الانسانية واذا تمسك بهذه القيم فانهم سيعملون بدونه وهو في الحالتين فاشل . ثم يبدأ الصراع بين هنري ونفسه ثم بين هنري ودوبروي من اجل الجريدة . واخيرا يربح اليمين الذي يهمله الجميع ليدافعوا عن فرديتهم ضد بعضهم البعض. كذلك على الصعيد الفردي ما تكاد تبدأ علاقة هنري بنادين حتى تنهار بول فاذا انتقل هنري الى علاقته بجوزيت انهار هو على الصعيد الخلقي واضطر لكي ينقذ جوزيت التي تعاملت مع الالمان ، الى ان يسجل على نفسه شهادة كاذبة ينقذ فيها احد الجواسيس الفرنسيين الذين كانوا يهددون جوزيت بفضحها اذا تخلت عنهم ولم تعمل على انقاذهم . ومما يزيد في تنوع القصة ووحدة تأثيرها ان كل فصل يتعرض فيه الابطال لقضية سياسية متلو بفصل عن حياتهم الخاصة . ويسير بهم الدمار في جانبي حياتهم العامة والخاصة حتى ينتهي الى الاستسلام التام اذ يعود هنري ودوبروي الى الكتابة . ويتزوج هنري من نادين مستسلما لحياة الزوجية ومتنازلا عن مغامراته .

ولعل مما يثير اعجابنا بهؤلاء الابطال هو الحرية المطلقة التي يمنحها هؤلاء الابطال لانفسهم سواء في تصرفاتهم الخاصة او العامة . ليس ثمة قيود تحد من حريتهم الداخلية التي تتجه بهم دائما الى اعادة تقييم انفسهم والعالم ، وتحدوهم على الدوام الى تقرير مصيرهم وتعميق كل قضية تعترضهم حتى يربطوها بمصيرهم ربطا يجعلهم ملزمين باتخاذها

قضية حياة او موت . ولذلك فانهم على الدوام يعيشون على الحد الاقصى من الصدق والتوتر . وهذا ما يدفع القارىء الى احترامهم والتعاطف معهم والاقتناع بهم . وهذا النوع بالذات هو نوع ابطال دوستويفسكي . وانني لا اتوانى لحظة عن مقارنة دوبروي بايفان وهنري بميتيا . كما ان مناقشة الابطال لوضعهم هي مناقشات دوستويفسكية تلامس المصير ومعنى الحياة . كل هذه الصفات تجعل من رواية(المثقفون) اثرا ادبيا عالميا وانسانيا . لقد استوحت الكاتبة عواطفها الفردية فرثت حبها وصباها ، كما استوحت عواطفها القومية فابنت وطنها فرنسا وارخت لانهياره وامحاء وزنه من ميدان الصراع الدولي . واخيرا استلهمت عواطفها الانسانية فعرضت بؤس الانسان ومسؤولية المثقف والقدر الذي يخيم على الانسانية جمعاء ويكاد يحكم باللاجدوى على كل محاولة شريفة . ولقد ناقشت الكاتبة الشرط الانساني الذي يحكم كل بيئة على سطح الارض ، مناقشة تجمع بين الذكاء والثقافة والموهبة ، فسلمت رواياتها من الغموض والفجاجة دون ان تقع في شرح تعليمي يقتل الرواية ويحيلها الى محاضرات فلسفية . لقد ظلت الحركة دفاقة والحوادث متسلسلة لان ذكاء الكاتبة وموهبتها مكناها من الجمع بين الحادثة وتحليلها في آن واحد . ولعل المرة الوحيدة التي اختل فيها توازن الاحداث بين يدي الكاتبة ، هي حين اسهبت في عرض علاقة ان دوبروي بليويس بروغان . فقد كان هذا الاسهاب في تحليل العواطف وتصوير المناظر ، وتسجيل الاحاسيس ، اسهابا مخلا بتوازن الاحداث التي عرضت من قبل بضبط ودقة نادرتين .

اما لغة الترجمة فقد يفاجأ القاريء في الوهلة الاولى بسرعة الاسلوب وخفته ، ويشعر ببعض الغرابة ، الا انني بعد القراءة الثانية قد وجدت ان عمق الافكار وصعوبة التعبير عنها ، ولغة الحوار ، والمنولوج الداخلي .. كل تلك العناصر تقتضي اسلوبا بسيطا وبعيدا عن التراكيب الرسمية للغة المنمقة والاسلوب الادبي الذي نصطنعه في كتاباتنا . وقد كان الاستاذ المترجم جورج طرابيشي جريئا الى ابعد حدود الجرأة في الكتابة بهذا الاسلوب . خاصة وان الرواية مكتوبة بالعامية الفرنسية كما اخبرني الاستاذ المترجم . وتكمن جرأة الاسلوب في التقريب الشديد بين العامية والفصحى في لغة الحوار خاصة . فمثلا يقول البطل « انت ترقص سيئا » ، والمألوف في الاستعمال الفصيح ان يأتي المفعول المطلق قبل الصفة فنقول « انت ترقص رقصا سيئا » فحذف المترجم المفعول المطلق وان كان باستطاعته ان يقلب الحوار فيقول « رقصك سيء » .

ومثل هذه الامور يمكن اقتراحها على امل تحسين لغة الترجمة بقدر ما تسمح به الامانة للنص الاصلي .

وكان بودي ان انهي المقال بالشكر لدار الاداب التي نقلت الينا هذا الاثر الفذ لولا انني اود ان اسجل عتبي على دائرة مراقبة الكتب في سوريا ، لانها اصدرت امرا بمنع الكتاب لانه جنسي . وانا لا انكر ان هناك بعض السطور المكشوفة ، الا ان قرار المنع يجب ان يراعي الطبقة التي يتوجه اليها الكتاب . اذ انني لا اعتقد ان كتابا فيه من الثقل الفكري والعمق الفلسفي مثل ما في رواية « المثقفون » ، لا اعتقد ان مثل هذا الكتاب يمكن ان يوجه الى طبقة تتاثر بما تقرأ من المشاهد الجنسية ، وما دام الكتاب موجها الى مثقفين ناضجين فلا داعي لقرار المنع . اما اذا كان الكتاب خفيفا من نوع الروايات الوردية فلا بأس بان يمنع خشية تأثر المراهقين به ، ولذلك فاننا نامل ان يعاد النظر في هذا القرار تشجيعا لدور النشر التي تجازف باموال ضخمة في سبيل طبع كتاب يقع في الف ومائتي صفحة . اما اذا جازفت وكان جزاؤها المنع فاننا نقطع الطريق على العزائم النشيطة ونثبط الهمم الشابة ونحول دونها ودون اتصالنا بالادب المعاصر والفكر الحر .

دمشق — محيي الدين صبحي

دار الاتحاد للطباعة والنشر

تقدم

نجمة

رواية جزائرية بقلم **كاتب ياسين**

ترجمة **ملك ابيض العيسى** — راجع الترجمة **سليمان العيسى**

*

مصير افريقيا

بحث واف عن مستقبل القارة السوداء

تأليف **ايف ديسار** — ترجمة **غياث حجار**

*

يصدر قريبا :

الديموقراطية

تأليف **جورج بوردو** — ترجمة **سالم نصار**

*

الغيوم الرائعة

تأليف **فرانسواز ساغان** — ترجمة **منذر الجابري**

*

الاشتراكية البناءة

تأليف **هنري ده مان** — ترجمة **غياث حجار**

*

تطلب منشورات دار الاتحاد في البحرين من الشركة العربية للوكالات والتوزيع

دار الاتحاد للطباعة والنشر ـ مطابع دار الصحافة

محطة الناصرة ـ بيروت